



النشرة

تصدرها مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

العدد ٤٨/١٩٩٧

الأحد ٣٠ تشرين الثاني

تذكار القديس المجيد

الرسول الكلي المديح أندراوس

المدعو أولاً

اللحن السابع

إنجيل السحر الثاني

الرسالة (١ كورنثوس ٤ : ٩ - ١٦)

الإنجيل (يوحنا ١ : ٣٥ - ٥١)

* العبادَة المسيحية *

رأينا في العدد السابق ان العبادَة هي تجلّي حضور الله وعمله في وسط شعبه. العبادَة هي أيضاً جواب جماعي تعاوني شكري لحضور الله وتذكّر لأعماله الخلاصية وبشكل خاص حياة يسوع المسيح وموته وقيامته وصعوده وإرساله الروح القدس وانتظار مجيء ملكوته. العبادَة تتركز حول الله. لقد عمل خلال التاريخ وما زال يعمل عبر الروح القدس، ونحن واعون أعماله ونستجيب لمحبهته بالتسبيح والشكر فنصبح أقرب اليه. العبادَة والصلاة هما اتصالنا الروحي بالله، عبرهما ننال عطية الروح القدس، فانه "يعطي الروح القدس للذين يسألونه" (لوقا ١١ : ١٣). القديس ساروفيم ساروفسكي يقول: "ان غاية الإنسان المسيحي هي اقتناء الروح القدس" وهذا يتطلّب صلاة وعبادة لله. عبر العبادَة والصلاة ندخل في شركة مباشرة مع المسيح فنسمع طلباتنا في الحال لدى الله الأب،

لأنه هناك وسيط واحد وهو المسيح "وبه وحده لنا قدوم الى الآب" (أفسس ٢: ١٨). إن ذبيحته الدموية جعلته "يقدر ان يخلص أيضاً الى إتمام الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عب ٧: ٢٥).

في العبادة والليتورجيا بشكل عام نعلن قبولنا للمسيح الذي "أقامنا معه وأجلسنا في السماويات" (أفسس ٢: ٦) أي انه احتوانا في طبيعته البشرية وقدمنا لله والهنا معه. نعلن قبولنا كل العمل الخلاصي الذي تم من أجلنا واستجابتنا له. هذا هو مفهوم الأسرار بشكل عام. نلبس المسيح في المعمودية، نموت ونقوم معه. و نقبل عطية الروح القدس في الميرون ونتحد به كلياً في المناولة. الأسرار تربطنا بالمسيح ونصبح بها جسد المسيح الكنيسة. ومتى صرنا واحداً معه، نفقات الحياة الإلهية التي منه فنستعاد أبناء للملكوت من جديد.

يتبع

الموسيقى البيزنطية المقدسة (تابع)

يجمع المؤرخون على ان الموسيقى البيزنطية المقدسة كانت منذ البدء صوتية بالكلية ولم تستعمل الآلات الموسيقية. أحد هؤلاء المؤرخين ، تيارد Tillyard يقول ان "الموسيقى البيزنطية كانت صوتية وكانت ترتل من قبل مرتل او جوقة مدربة على الترتيل بتناغم". فالآلات الموسيقية لم تستعمل في الكنيسة اليونانية، كما يقول المؤرخ إيغون ولسيز Egon Wellesz إن "إستعمال الأرغن والآلات الأخرى كان ممنوعاً في الكنائس".

إن "تنفيذ" الموسيقى الكنسية البيزنطية بواسطة الآلات الموسيقية ، او حتى مصاحبة الآلات للترتيل كان مستبعداً بالكلية من قبل الآباء الشرقيين كونه غير منسجم مع الطبيعة الروحانية والنقية والهادئة لديانة المسيح. وفي تعليقه على هذا ، يشدد ج.أ. بابادوبولوس على ان الترتيل الصوتي يمارس "بحسب المثال الذي أرساه المخلص والرسول القديسون الذين وضعوا المثال الواجب إتباعه في الكنائس بسماحهم بالموسيقى الصوتية ومنعهم بشدة إستعمال الآلات الموسيقية كونها دنيوية (اي تنتمي الى العالم)، وبوصفها مثيرة لمشاعر اللذة الخالية من أية فائدة روحية". ويدعونا القديس غريغوريوس اللاهوتي (٣٢٥ - ٣٩١) لأن "نرتل بدل استعمالنا الطبول والأصوات المسرحية". أما القديس يوحنا الذهبي الفم فيقول معلقاً على الآية التاسعة من المزمور ١٤٤: "يا الله ارنم لك ترنيمه جديدة، برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك": "هذا يعني انه يجب علي تقديم الشكر لك أيها العلي. لكن آنذاك آلات موسيقية استعملت في الترنيم المقدس فيما نستخدم نحن الجسد عوض الآلات". وفي تعليق لاحق على المزمور ١٥٠ يقول: "في ذلك الوقت سمح الرب لهم (اي لليهود) باستعمال الآلات نظراً الى ضعفهم". لأنه ، بحكمته رتب ان يوظفهم بهذه الطريقة من حالتهم البائسة. النقطة المراد توضيحها انه ، بفضل مجيء المسيح برسالته التي تدعو الى إنسان جديد وأرض جديدة، يجد المسيحيون أنفسهم في وضع افضل من أولئك الذين

عاشوا تحت العهد القديم، لذا فإن ما يُطلب منهم هو أكثر مما طلب من الذين كانوا قبلهم. فهم مطالبون بالإرتفاع الى مستوى روعي أعلى من ذلك الذي لليهود.

إن استعمال الأرغن في الكنيسة الغربية، الذي بدأ في العصور الوسطى وتقلده بعض الكنائس الأرثوذكسية في الغرب في أيامنا هذه، هو مخالف لممارسة المسيحيين الأوائل الآباء الشرقيين.

في ممارسة الموسيقى البيزنطية، ليس مألوفاً كذلك الترتيل بواسطة تعدد الأصوات (Polyphony). فالترتيل البيزنطي، بطبيعته، أحادي الصوت (Monophonic). هذا يعني ان هناك طبقة واحدة او مستوى صوتياً واحداً، وحتى عندما ترتل الجوقة (أي عدة مرتلين)، فهم يرتلون معاً "كان أصواتهم خارجة من فم واحد" كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم. وحتى في هذه النقطة، يجد مؤرخو الموسيقى البيزنطية أنفسهم على توافق. فالمؤرخ تيارد الذي ذكرناه آنفاً، يقول ان الموسيقى البيزنطية "صوتية، على طبقة واحدة، ولا يرافقها سوى الإيصون (أي الصوت الذي يعطي الخليفة الموسيقية للمرتلين)". ويقول وليمز ان "الموسيقى الكنسية البيزنطية... سواء رُتل من قبل مرتل واحد أو عدة مرتلين، كانت دائماً أحادية الصوت". أما د.ج. بانايوتوبولوس فيلاحظ ان "الحن البيزنطي، بحسب تقليد قديم، كان دائماً يرتل بحسب خط أحادي من الأصوات، ولا يستخدم تناغماً بين طبقات متعددة من الحن، كما هي الحال في الموسيقى الأوروبية. لذا، حتى عندما يرتل عدد من المرتلين معاً، فهم يخرجون الأصوات ذاتها عوض إصدارهم طبقات متعددة من النغم". والجدير بالذكر، في هذا الإطار، ان الموسيقى الكنسية الغربية نفسها كانت أحادية الصوت في القرون العشر الأولى. فتعدّد الأصوات في الترتيل البيزنطي، كما يقول البعض او تناغمها، بحسب القواعد الغربية للنغم، وكذلك استعمال الأرغن في المصاحبة الموسيقية، هو، لهذا مناقض لتقليد الكنيسة المسيحية. هذا الأمر هو تجديد أدخلته الكنيسة الروسية في القرن الثامن عشر ومنها إدخال الى كنائس أرثوذكسية أخرى. هذا التجديد هو نتيجة التأثير الغربي على الشرق. فالكنيسة الغربية، كما رأينا، قد أدخلت الترتيل المتعدد الأصوات في مرحلة مبكرة جداً.

هذا التجديد الذي يأخذ شكل الغناء التناغمي من قبل صوتين او اكثر يغيّر الشكل الخارجي للموسيقى البيزنطية وبالتالي محتواها الجوهرى أيضاً. فهو يخفف من نقاوتها وهدوئها وطبيعتها الميستيكية، وكذلك قدرتها على استثارة السكون، وبالتالي تحولها الى أداة للذة والترفيه. فالألحان البيزنطية التي تلبس وشاحاً مكوّناً من أصوات متناغمة تفقد الفرادة التعبيرية التي تتمتع بها وجرسها الموسيقي الروحي، كما تفقد جديتها وجلالها الروحي الخاص بها، وبالتالي قوتها على الإرتفاع بنا وتغييرنا روحياً. إن الترتيل الأحادي الصوت ليس فقط متوافقاً مع ممارسة الكنيسة الأولى لكنه ينسجم أيضاً مع طبيعة المسيح البسيطة والمتواضعة والجديدة ومع تعاليمه. فالترتيل المتعدد الأصوات يحتوي على تعقيد لا فائدة منه، كما يحتوي على الخفة والمغالاة في إيصال الرسالة المرجوة.

(يتبع)

* حول الأب الروحي والطاعة (تابع)

+ لا تُطع جزئياً:

إذا بدت لك إحدى المسؤوليات صعبة صارح رئيس ديرك (أو أبك الروحي) بالأمر، ولا تتكَلَّ على مبادرتك الشخصية. لقد كان آباؤنا متشددين في هذا الموضوع: فمن أراد ان يصبح راهباً يجب ألا تكون عنده إرادة ذاتية في أي أمرٍ كان. وعلى الحرية ان تشفى من كل الغرور حتى تتشبه بحرية المسيح الذي لم يصنع مشيئته على الإطلاق بل مشيئة أبيه، وكانت طاعته وصليبه بمثابة اعتلان محبته للأب. وأنت، لتكن طاعتك وزهدك في كل شيء بمثابة اعتلان محبتك للأب وتعبير عن بنوتك الإلهية التي فُقدت في الماضي واستُعيدت الآن.

لا تُطع جزئياً فيتمزق قلبك. تحلّ بالثقة، وابذل نفسك كلياً، فلا يمكن للرب أن يبقى جامداً أمام ثقتك وتواضعك، ولا بدّ أن يفيض عليك الفرح في غمرة المحن. إذا كان رئيس ديرك غائباً، ولم يكن في الدير من أوكل اليه تدبير مسؤولية القيادة، كن مطيعاً للجميع واعتبر كلاً من الموجودين أعلى منك رتبة. فكر بالذي كان عبداً للجميع وأتى الى العالم لا ليخدم بل ليخدم. وكن على صورة الخادم الإلهي، وابحث عن المقاعد الأخيرة. فإن "من رفع نفسه أتضع ومن وضع نفسه ارتفع". اخضع لإرادة أخيك فتتنعم بحرية أبناء الله.

من دون الروح القدس نحن لا نجد أي فرح في الطاعة، لذلك علينا ان نصلي اليه على الدوام لكي يمنحنا حبه فتتجدد فينا طاعة الأبناء. لقد سقطت حواء لأنها شكّت بصلاح وصية الرب. وأنت إذا طلبت منك ان تقوم بعمل ما فقل في نفسك ان ذلك لمصلحتك ولأجل خلاصك، وقم بواجبك بسلام ومحبة.

(مترجمة)